القواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي
دراسة في النشأة والتطور

عبدالله علي الفضلي(*)

التعريفات العلمية الشاملة للمعاجم:

كان للعرب دور كبير مشهود في تطوير الدراسات اللغوية والمعاجم والقواميس على أسس علمية منذ القرن الأول الهجري فقد ساهم رواد البحث اللغوي بدءاً بأبي الأسود الدؤلي ت 69هـ/689م ومروراً بالخليل بن أحمد الفراهيدي (100-170هـ/ 718-787م) وتلميذه سيبويه (ت 180هـ/797م) وأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ/1002م) وغيرهم ممن ساهموا في خدمة اللغة العربية بل وفي تطوير البحث اللغوي حيث أتوا بنظريات دقيقة ودراسات وصفية، بدأ علماء الغرب في اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر ن عشرة قرون.

(*) أستاذ/ ناقد/ المغرب.

ما المعجم ؟ ومتى عرف معناه الاصطلاحي ؟

المعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء، أو الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة العربية مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها.

ولا يطلق المعجم على غير هذا، فإذا جمعنا كل ألفاظ اللغة في كتاب ولم نصحبها بالمعاني فإنه لا يسمى معجماً، وكذلك لا يسمى معجماً إذا وضعنا فيه كلمات معدودة مشروحة، بل لابد وأن يكون المعجم كما عرفناه ووصفناه.

ولا ندري على وجه اليقين متى أطلقت كلمة «معجم» في اللغة العربية على هذه الكتب التي ترمي إلى جمع اللغة، ويمكن تتبع البدايات الأولى لهذه الكلمة من خلال المصادر المتوافرة التي يمكن أن تلقي أضواءً على هذا الموضوع.

قال ابن جني «اعلم أن «ع ج م» إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح، فالعُجمة الحُبسة في اللسان، ومن ذلك رجل أعجم وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما.

والأعجم الأخرس أيضاً، والعجم والعجمي غير العرب لعدم إبانتهم أصلاً ثم أطلق عليهم هذا اللقب ولو أفصحوا وأبانوا. واستعجم القراءة لم يقدر عليها لغلبة النعاس. والعجماء البهيمة، لأنها لا توضح عما في نفسها. فَحلٌ أعجم يهدر في شقشقة لا ثقب لها فهي في شدقة ولا يخرج الصوت منها.

واتصل بهذا المعنى الصمت لما فيه من عدم الإبانة، فقيل استعجم الرجل سكت واستعجمت الدار عن جواب سائلها.

والموج الأعجم الذي لا يتنفس فلا ينضح ماء ولا يسمع له صوت.

وانتهى هذا الاتجاه بقولهم باب مُعْجم مُقفَل.

والعُجْمة هي الصخرة الصلبة تنبت في الوادي، والعُجومة الناقة الشديدة القوية على السير. ومع الصلابة والقوة يأتي الابتلاء والاحتمال فَعَجم فلاناً زاره وعجمت العودَ: عضضته لتعرف صلابته من رخاوته، والعواجم الأسنان وهي أداة العجم. وإذا قيل: أعجمت الكلام فإن معناه أوضحته وبينته، وكذلك أعجمت الكتاب أي أزلت عنه استعجامه.

وسميت المعاجم باسم آخر لا شك ولا غموض فيه، هو القواميس «مفردها قاموس» وأتاها هذا الاسم من تسمية معجم الفيروزآبادي بالقاموس المحيط. أي الواسع الشامل، فلما كثر تداول هذا المعجم في أيدي المتأخرين قصروا جهودهم عليه، اكتفوا بتسميته بالقاموس ثم اشتهر هذا الاستعمال حتى أصبح مرادفاً لكلمة معجم لغوي، وأطلق على جميع المعاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة.

نبذة تاريخية:

متى عرفت كلمة المعجم؟

لا نعلم على وجه الدقة متى أطلق المعجم على هذا الاستعمال، ولكن الذي نعلمه أن أول من استعمل الكلمة هم رجال الحديث، وأول ما عُرِف كان في القرن الثالث. فقد جاء في صحيح الإمام البخاري عنوان من تعبيره وقوله وهو باب تسمية من سمِّيَ من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو

عبدالله على حروف المعجم والجامع هو أحد كتب البخاري (ويريد بأبي عبدالله نفسه وللبخاري التاريخ الكبير) رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئاً بالمحمدين وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم، هو معجم الصحابة لأبي يعلي أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الحافظ محدث الجزيرة، وقد ولد سنة 210هـ وتوفي سنة 307هـ وسمى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة (المعجم الكبير والمعجم الصغير ثم كثر إطلاقه واستعماله بين ما ألفه في الحديث وعنهم أخذه اللغويون).

جاء في مقدمة كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة (في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله أي كتاب أنزله الله على آدم عليه السلام؟ قال: كتاب المعجم. قلت: أي كتاب المعجم؟ قال: أ ب ت ث ج. قلت: يا رسول الله كم حرفاً؟ قال: تسعة وعشرون حرفاً).

ولعل إطلاق المعجم على الفهرس الذي يضم اللغة المشروحة المبوبة المرتبة ترتيباً خاصاً كان لأسباب أقربها أن الإعجام يزيل اللبس ويوضح المبهم وأن الكلمات تتألف من حروف المعجم.

متى بدأت المعاجم ومن هي الأمم التي سبقت في تأليفها ؟ وهل عرف العرب المعجم قبل غيرهم من الأمم ؟

لا شك أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر تأليف المعاجم بل سبقتهم أمم بقرون قليلة مثل الآشوريين والصينيين واليونان(*).

فالآشوريون اهتموا باللغة ومفرداتها وقواعدها، وعرفوا المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة، فقد ابتكروا معاجم خاصة بلغتهم ذات ترتيب

(*) قبل الإسلام.

يغاير ما عرف عند العرب من ترتيب، فالآشوريون خافوا على لغتهم أن تضيع، فصنعوا معاجم دعتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة واستبدلوا به نظام الإشارات المقطعية أو الألفبائية ذات القيم الصوتية.

ولكن مرور الزمن أبهم عليهم معرفة النظام الجديد، فجمعوا مسارد (قوائم) وعرفوها بطريقتهم القديمة، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمحت بعد لأن الكهنة كانوا يستعملونها في شعائرهم الدينية، جمعوا ألفاظها في مسارد محفورة على قوالب الطين، وأودعوها مكتبة آشور بانيبال الكبيرة التي كانت بقصر (قويو نجيك) في نينوي (625-668 قبل الميلاد) وقد وصل إليها الكشف العلمي فصارت مصدراً صحيحاً لتاريخ الآشوريين.

وعلى بعض الأقوال التي أيدتها الكشوف العلمية الأخيرة أن الآشوريين هم العرب القدماء، فإذا صح هذا فإن أسلاف العرب الأقدمين هم من أوائل من ابتكروا المعجم أو كانوا أول المبتكرين في هذا السبيل.

وعرف الصينيون المعاجم قبل العرب، ولديهم منها طائفة صالحة أقدمها معجم اسمه (يوبيان) Yu Pien وألفه كويي وانج Ku Te Wang وطبع سنة 530 بعد الميلاد. ثم معجم آخر اسمه شوفان Shwo Wan تأليف هونشن Hu-shin وطبع سنة 150 قبل الميلاد، وهما أساس معاجم الصين واليابان.

وعرف اليونان المعجم قبل العرب أيضاً، وذكر أتنيوس Athenacus خمسة وثلاثين مؤلفاً زعموا أنها قد تكون معجمات، وقيل: (زعموا) لأن هذه الكتب جميعها مفقودة، ومن الصعب البت في أنها معجمات، ولكن الثابت مما وصل إلى الخلف من المخطوطات التي قام علماء أوروبا بطبع أكثرها أن

اليونان وضعوا معاجم، بعضها على الحروف الأبجدية، وأكثر من وضعوا هذه المعجمات من علماء جامعة الإسكندرية في عهد البطالسة وبعدهم، وكان بعض هذه المعاجم خاصاً مقصوراً على مفردات بعض الخطباء أو المفردات الواردة في كتب أفلاطون الفلسفية أو الخطباء الأتيكيين العشرة، أو كتب أبقراط الطبية، وبعضها لغوي.

وأقدم المعاجم أو الكتب اللغوية في اليونانية - واللاتينية أيضاً - كانت مجموعة من الغريب من الألفاظ والعبارات، وكانت مقصورة على مؤلف أو كتاب.

وأقدم المعجمات اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس Yulius Polluxوهو كالمخصص لابن سيده، مرتب على المعاني والموضوعات، ومعجم هلاديوس Helladius السكندري، وكان في القرن الرابع الميلادي.

وأقرب هذه المعاجم شبهاً بالمعجم العصري: معجم فاليريوس فيرلكس Valerius Flaccus وكان في عهد الإمبراطور أغسطس - وفي أيامه ولد سيدنا المسيح عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - وعنوانه (في معاني الألفاظ) ومايزال موجزه باقياً حتى الآن.

وألف هزيشيوس السكندري Hesyehius في القرن الرابع الميلادي معجم اللهجات والمحليات ومعجم ما اتفق لفظه واختلف معناه لامونيوس السكندري Ammonius. ووضع أريون الطبي Arion of thebts وهو من أهل طيبة في مصر وقد عاش بين 390 و460 بعد الميلاد ألف معجماً في الاشتقاق وقد طبعه أحد العلماء في ليبزج سنة 1820م.

هذا بعض ما عرف من تاريخ تأليف المعجمات في الأمم غير العربية.

أما العرب في عصورهم الجاهلية فلم يعرفوا المعاجم لأنهم كانوا أمة

أمية ولم تكن حاجتهم داعية إلى تأليف معجم حتى جاء الإسلام فدعت الحاجة إلى أن يسألوا عن معاني الكلمات ذات الاصطلاح الجديد كما كانوا يسألون عن بعض الكلمات التي استغلق عليهم فهم معناها.

دوافع وعوامل وأسباب تأليف المعجمات العربية:

في البداية كان هناك سببان رئيسيان للاهتمام بتأليف وإنشاء المعاجم اللغوية الأول العامل القومي العربي الإسلامي حيث نشأة الثقافة العربية نفسها فالقواميس اللغوية التي تؤدي وظيفتها في الفكر القومي العربي الإسلامي هي في نفس الوقت جزء من هذا الفكر تتأثر بكل العوامل التي تؤثر فيه وكان العرب يهتمون بلغتهم اهتماماً شديداً(*) وهناك شواهد تاريخية كثيرة على أن اللغة العربية كانت بالنسبة للعرب أمراً يعتزون به ويحرصون على نقائه وينتقصون من يخطئ فيها أو يخرج على أصول الاستعمال المتبعة فيها.

والعامل الثاني هو عامل ديني عندما جاء الإسلام ازداد الاهتمام باللغة العربية، واكتسب بعداً جديداً وهو البعد الديني لأن القرآن والحديث النبوي هما المصدر الأساسي لهذا الدين جاءا باللغة العربية ولعل هذا البعد الجديد كان أبعد أثراً في نمو الثقافة العربية والإسلامية بصفة عامة حيث نشأت القواميس اللغوية وتطورت في كنف هذه الثقافة وعلى هداها وقد ظهر اهتمام جديد بتنمية الفكر العربي بين المسلمين غير العرب الذين دخلوا في هذا الدين أمة بعد أمة وشعباً بعد شعب لاسيما أن كثيراً من هؤلاء المسلمين قد اتخذوا اللغة العربية لغة أساسية أو شبه أساسية بدلاً للغتهم الأولى أو معها بل إن هؤلاء المسلمين غير العرب قد أسهموا في وضع القواميس العربية وقدموا في ذلك جهوداً بارزة.

(*) بعد ظهور الإسلام وبدء حركة التدوين.

وقد اتسعت الثقافة العربية الإسلامية اتساعاً كبيراً، وكانت تقوم في أول الأمر على الدراسات الدينية والعربية، بما فيها علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد، والنحو والصرف والعروض والأدب والبلاغة والنقد. ثم امتدت فغطت الفلسفة والمنطق وعلوم الطب والطبيعة على اختلاف أنواعها وأصبحت بعد فترة غير طويلة ثقافة متكاملة تغطي كل نواحي الدراسة والبحث والمعرفة في وقتها.

ومن الطبيعي أن الثقافة بهذه السعة، وعلى هذا المستوى من النمو والتطوير لابد أن تواجه مشكلات البحث، وأن ينشئ أصحابها الأدوات التي تذلل هذه المشكلات. وقد كان البحث في دلالات المفردات العربية والطريقة الصحيحة لنطقها، والاستخدامات المتعددة لها، من أول الأمور التي اهتم بها علماء العربية هذا فضلاً عن حصر المفردات العربية نفسها. وظهرت القواميس الأولى لخدمة الحاجات الأساسية، وعبر عن ذلك أصحاب هذه المعاجم المبكرة في المقدمات التي صدروا بها تآليفهم.

وقد بقيت هذه الحاجات الأساسية عاملاً دائماً في ظهور القواميس العربية من بعد، ولكن حاجات أخرى متنوعة صحبتها أو أضيفت إليها كلما اتسعت الثقافة وازدادت حاجات البحث، فقد ازداد الاهتمام مثلاً بمعرفة الاستعمالات الأدبية للمفردات العربية ومعانيها البلاغية وظهرت لذلك عدة قواميس ومراجع لغوية يمكن إلحاقها بالقواميس. واهتم آخرون بتحديد أمهات المعاني في المواد اللغوية لتكون مقياساً في تطور الدلالات وتعددها داخل المادة الواحدة واهتم غيرها بتحديد المفردات الداخلية في اللغة العربية وجمعوا عديداً من القواميس والمراجع اللغوية لخدمة هذه الحاجة ولما انتشر اللحن والخطأ بين المتكلمين بالعربية تخصص بعض العلماء في جمع هذا اللحن وتنظيمه في قواميس ومراجع لغوية تحذيراً منه أو تصحيحاً له. إذن

أهم المعاجم التي ظهرت لتلبية الحاجات الأساسية كانت معاجم معانٍ لغوية ومعاجم دلالات لغوية ومعاجم مفردات دخيلة.

1) ومن أمثلة القواميس التي ظهرت للبحث في دلالات المفردات العربية والطريقة الصحيحة لنطقها والاستخدامات المتعددة لها هو قاموس (**العين**) للخليل بن أحمد (ت 786م) و(**جمهرة اللغة**) لابن دريد (ت 933م) و(**تهذيب اللغة**) للأزهري (ت 980م).

2) وفيما يتعلق بقواميس المعاني والدلالات اللغوية والمفردات الدخيلة ظهر قاموس (**الصحاح**) للجوهري (ت 1003) و(**المحكم**) لابن سيده (ت 1069م) و(**العباب**) للصاغاني (ت 1252م) و(**لسان العرب**) لابن منظور (ت 1312م) و(**القاموس**) للفيروزآبادي (ت 1415م) و(**المحيط**) للبستاني (ت 1883م) و(**أقرب الموارد**) للشرتوني (ت 1912م).

3) أما القواميس التي تناولت واهتمت بمعرفة الاستعمالات الأدبية للمفردات العربية ومعانيها البلاغية كان أول النماذج لهذه الحاجة هو قاموس (أساس البلاغة) للزمخشري (ت 1124م) الذي بين دلالة الكلمة وكيف يكون استعمالها (دلالة لغوية ودلالة بلاغية) فهو غير قاموس أساسي كامل ولا يحصر اللغة العربية كاملة بل يبين المعاني البلاغية للمفردات.

4) أما العلماء الذين اهتموا بتحديد أمهات المعاني في المواد اللغوية فقد مثلها معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس من القرن العاشر الميلادي.

5) وهناك من العلماء من اهتم بتحديد المفردات الداخلية في اللغة العربية وجمعوا عديداً من القواميس والمراجع اللغوية لخدمة هذه الحاجة وكان أول النماذج لهذه الحاجة الإضافية هو كتاب (المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) للجواليقي (ت 1144م).

وهناك ثلاث حاجات إضافية لكل منها قيمة وظيفية هامة فهي تخدم

مواقف هامة في البنية الثقافية وقد ظهرت هذه الحاجات منذ وقت مبكر في الفكر العربي وكان لابد من الاستجابة لها في اللغة العربية التي وصلت لهذه الدرجة من النضج والانتشار، وتمثلت الحاجة الأولى في تلك القواميس والمراجع اللغوية التي تكون اللغة العربية طرفاً فيها مع لغة أخرى أو أكثر فقد التقت هذه اللغة بعدة لغات (قواميس ثنائية اللغة).

واحتاج الباحثون إلى تبادل الترجمة بينها وبين العربية أخذاً وعطاءً ومن هذه اللغات العبرية والسريانية والفارسية والتركية.

ومن بواكير النماذج لهذه الحاجة الإضافية معجم (**السامي في الأسامي**) للميداني (توفى 1124م) و**معجم عربي فارسي للزمخشري**.

أما الحاجة الثانية لظهور هذه القواميس فقد تمثلت في قواميس المفردات والاستخدامات المألوفة والشائعة فقد أدرك اللغويون وأصحاب المعاجم في الثقافة العربية أن المفردات الغربية والمواد النادرة والاستعمالات الخاصة تشغل في اللغة العربية قدراً غير قليل. ومنها أن هناك من المؤلفين اللغويين كان يأتي إلى أحد القواميس الأساسية الشاملة فيختصره أو يختار منه.

وأول النماذج لهذا الاتجاه هو ما فعله محمد بن الحسن الزبيدي (ت 989م) حيث اختصر معجم العين للخليل بن أحمد (ت 786م) وأصبحت بعد ذلك سنة متبعة تمت مرات عديدة بالنسبة لصحاح الجوهري (ت 1002م) و(**مختار الصحاح**) للرازي (توفى 1261م) و(**القاموس المحيط**) للفيروزآبادي (توى 1415م).

أما الاتجاه الثاني فقد اهتم بمجال معين من مجالات العلوم فيقوم بجمع المفردات التي يكثر ترددها والاستخدامات الشائعة في مجاله، وأول

النماذج لهذا الاتجاه الإنشائي هو قاموس (**المُغرب في ترتيب المعرب**) للمطرزي (ت 1213م) وكان هذا المؤلف أحد علماء الحنفية فجمع هذا القاموس المختصر خدمة للحاجات الشائعة ولاسيما بين علماء الأحناف ويساويه في هذه الناحية قاموس (**المصباح المنير**) للفيومي (ت 1368م) وقد سار في هذا الاتجاه في العصر الحديث (**المعجم الوسيط**) الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجلدين بين عامي 1960-1961م(*).

وهناك اتجاهات متعددة سلكها العلماء في وضع القواميس التي تستجيب لمعالجة المفردات التي وردت في القرآن والحديث.

من بواكير النماذج في هذا الاتجاه (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني (ت 1109م)، و(الفائق في غريب الحديث والأثر) للزمخشري (ت 1124م)، ومنها أيضاً (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) الذي وضعه محمد فؤاد عبدالباقي عام 1936م.

ومن العوامل الإضافية التي أدت إلى تأليف المعجمات العربية ما يلي:

كان القصد من تأليف المعاجم وكتب اللغة هو حراسة القرآن الكريم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم وحراسة اللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية وصيانة هذه الثروة من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم، فكما أن كتابة المصحف الكريم كانت بسبب استمرار القتل في الصحابة حفظة القرآن الكريم والخشية من أن يضيع شيء منه فكذلك دونت اللغة العربية بواسطة المعجمات والكتب اللغوية خشية من أن تضيع بعض موادها.

والسبب الأول الذي دعا العلماء إلى العناية باللغة العربية هو فهم

(*) سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

القرآن الكريم، وفهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا إذا عرفنا كلماته، حيث تضمن القرآن الكريم كثيراً من الغريب والنوادر، وكثيراً من الألفاظ التي استُغلقت معانيها على الصحابة من العرب كعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس حيث لم يقع لعمر معنى الأبّا في قوله تعالى (وفاكة وأبًّا) ولابن عباس معنى كلمة (فاطر).

وكان العرب يستعينون بالشعر وكلام العرب لبيان معاني القرآن وكانوا يحرصون على أن يستوعبوا من كلام العرب كثيراً حتى يستطيعوا بهذه المصادر أن يفسروا ألفاظ القرآن الكريم ومن ثم يفهمون معاني آيات الله البينات، وكان أول اتجاه للعناية اللغوية هو رغبة دينية محضة ولهذا نسب إلى ابن عباس (**كتاب غريب القرآن**).

ولعل هذا السبب الذي حمل النحويين أن يعنوا بالنحو ليبعدوا عن اللسان الخطأ في تلاوة القرآن الكريم فحرسوه بالقواعد النحوية.

ومن العوامل والدوافع التي دعت إلى تأليف كتب اللغة والمعجمات هو كثرة الأمم ذات الألسنة غير العربية التي دخلت في الإسلام واتخذت العربية لغتها. وخشي العلماء أن يدخل القرآن ما ليس من كلام العرب فأقاموا من أنفسهم حراساً على العربية يحفظونها ويبعدون عنها الدخيل.

البدايات الأولى لطبيعة المعاجم العربية:

يعد ابن عباس أول من حمل راية المعجم العربي فقد وقف على لغات العرب وأسرارها ودلالات مفرداتها ومعرفة غريبها ونوادرها وعلى أشعار العرب وخطبهم وأمثالهم وقد أعانه علمه الواسع باللغة العربية أن يفسر لسائليه كلمات اللغة العربية تفسيراً لغوياً دقيقاً وينسب إلى ابن عباس كتاب غريب القرآن وكان مفسراً لغوياً عالماً بأسرار اللغة واقفاً على مفرداتها

ومعاني هذه اللغات. وقد وضع ابن عباس نواة المعجم العربي سواء في غريب القرآن أو التفسير الأكبر.

وإلى جانب ابن عباس ظهر رجل آخر سار على نهج ابن عباس هو آبان بن تغلب بن رياح الجريري مولى بني جرير وكنيته أبو أميمة وقد (توفي سنة 141هـ) وكان قارئاً فقيهاً ولغوياً وكان إماماً عظيم المنزلة.

وإذا كان ابن عباس ثم أبان بن تغلب صنعا (نواة) المعجم والتأليف اللغوي وكانا من الفاتحين الرواد، فإن الخليل بن أحمد الفراهيدي يعد بحق أول من صنف (معجماً) جديداً بهذا الاسم، لأنه جمع ألفاظ اللغة وشرح معانيها ورتبها علمياً.

وإذا كان الخليل مسبوقاً عن بعض الأمم في هذا السبيل فإن من الحق أن نذكر أنه لم يك مقلداً أحداً أو ناهجاً على طريق سابق، بل كان مبتكراً ومخترعاً في الفكرة والمنهج والترتيب، ومعجمه معجم حق، أما المعاجم التي عرفت في اليونان والصين وعند الآشوريين فتعد معاجم خاصة لا عامة لا تصل إلى مرتبة كاتب الخليل وفوق هذا لم يقصد أحد من مؤلفي تلك المعجمات - باستثناء الصين - إلى حصر اللغة وشرح كل ما استطاع من مفرداتها كما صنع الخليل.

وكان العرب هم أول من وضعوا معجمات كاملة دقيقة مستوعبة، وأول من وضعوا معجمات من أصحاب اللغات الحية، وأول من اشتغلوا باللغة وعلومها وفنونها، واستوعبوا كل ذلك أجمل استيعاب، فألفوا معاجم أسماء الرجال والنساء، وسموها كتب الطبقات، وأفردوا لكل طائفة طبقة، فهناك طبقة النحاة، واللغويين وطبقة القراء وطبقة المحدثين وطبقة الأدباء والشعراء والكتاب والعلماء والصوفية والخطاطين والحفاظ والصحابة والتابعين والمفسرين والأطباء والحكماء والفقهاء والأولياء والرواة والخواص والمتكلمين

والمتحدثين والنساك والنسابين والفرسان والحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية وغير ذلك مما يتصل بهذا اللون من المعاجم كما ألفوا معاجم في أسماء البلدان والغريب في القرآن والحديث والنوادر والفقه والحديث واللغات والمعرب والدخيل والهمز ولغات القبائل والحيوان والنبات والإنسان ولحن العامة ولحن الخاصة والاشتقاق وطبقات الخيل والفحول ومعاجم اللغة.

وقد اتسع نطاق التأليف اللغوي وتعددت أنواع المعجمات على مر الزمن وأصبح لكل فن معجم بل صار للفن الواحد معجمات.

تنوع المعاجم اللغوية:

المعاجم أو المراجع اللغوية متنوعة بتنوع الاهتمامات اللغوية وكلمة معجم هي المقابل العربي لكلمة Dictionary الإنجليزية المشتقة من Dictio اللاتينية والتي تعني الكلمة أو العبارة، ويعرف معجم shorter oxford English dictionary المعجم بأنه الكتاب الذي تناول مفردات لغة ما، حيث يبين طريقة كتابة هذه المفردات وطريقة نطقها، ومعانيها واستخداماتها ومرادفاتها واشتقاقها وتاريخها، أو بعض هذه الجوانب على الأقل. وإذا كانت الموسوعات تهتم بالموضوعات فإن المعجمات إنما تهتم في الأساس بالكلمات والمفردات وترد هذه المفردات وفقاً لترتيب معين وعادة ما يكون هجائياً، وهناك بعض الكلمات الإنجليزية المرادفة لكلمة Dictionary مثل Glossary, Vocabulary, Lexico أما في العربية فإن كلمة قاموس التي استخدمت في عنوان أحد المعاجم القديمة (القاموس المحيط) فقد أصبحت علماً على هذه الفئة من الأوعية المرجعية حيث تستعمل الآن تبادلياً مع كلمة (معجم).

والمعاجم بكل أنواعها من أهم أدوات الخدمة المرجعية السريعة

ولأغراض هذا العرض الموجز نقسم المعاجم إلى فئتين رئيسيتين، المعاجم أحادية اللغة والمعاجم متعددة اللغات أو معاجم الترجمة، وتنقسم الفئة الأولى بدورها إلى:

أ) معاجم المفردات.

ب) معاجم المعاني.

ج) معاجم النطق.

د) معاجم الألفاظ العامية.

هـ) معاجم التعبيرات والاستعمالات.

و) معاجم النصوص.

ز) معاجم المختصرات والأسماء الاستهلالية.

ح) معاجم الدخيل والمستعار.

ط) معاجم الألفاظ المهجورة.

ي) المعاجم المعيارية.

أما الفئة الثانية فنقسمها إلى:

أ) المعاجم الشاملة.

ب) المعاجم المتخصصة.

التبويب والتجنيس في المعاجم اللغوية العربية:

معاجم المفردات:

التراث العربي غني بالمعجمات بوجه عام والمعجمات اللغوية بوجه خاص، وقد مرت طرق ترتيب مداخل المعجمات اللغوية العربية بعدة مراحل

بدأت بالترتيب الصوتي أو وفق مخارج الحروف كما هو الحال في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم الترتيب وفقاً للحرف الأخير مثل (الصحاح) للجوهري و(لسان العرب) لابن منظور (والقاموس المحيط) للفيروزآبادي، والترتيب وفقاً للحرف الأول كما هو الحال في (أساس البلاغة) للزمخشري، ثم محاولات إعادة ترتيب بعض المعجمات القديمة مثل (القاموس المحيط)، و(مختار الصحاح)، و(لسان العرب)، وأخيراً المحاولات الجارية على ساحة صناعة المعجمات العربية المعاصرة وخاصة في لبنان والرامية لترتيب المداخل وفق الحرف الأول مع مراعاة حروف الكلمة كاملة دون تجريد.

ومن أشهر معاجم المفردات العربية المتداولة الآن:

1) الصحاح في اللغة - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري/ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. القاهرة 1950م 6 مج.

وهو من أوائل المعاجم الهجائية العربية حيث ابتدع مؤلفه ما يعرف بطريقة التقفية أي الاعتداد بالحرف الأخير من المدخل إذ تتوالى المداخل في هذا الحرف كما تتوالى القوافي في القصيدة ووفقاً لهذا النظام يقسم الجوهري معجمه إلى 28 باباً أي بعد حروف الهجاء ثم يجزئ كل باب إلى 28 فصلاً وكل من الأبواب والفصول يحكمها النسق الهجائي والباب لأواخر المدخل والفصل لأوائلها. فباب الباء يشتمل على كل المداخل المنتهية بالباء وترتب المداخل في الباب هجائياً وفقاً للأحرف الأولى (الفصل) مثل أرب، جلب، رقب، ضرب، عقب، كتب، نحب، هرب... إلخ. فإذا كنا نبحث عن كلمة وراق مثلاً فإننا لا نبحث عنها تحت الواو وإنما نجرد الكلمة ونردها إلى أصلها (ورق) ثم نبحث عنها في باب القاف فصل الواو. وكذلك الحال بالنسبة لكلمة مكتبة فلا نبحث عن معانيها تحت الميم وإنما نردها إلى أصلها

(كَتَبَ) ونبحث في باب الباء فصل الكاف، وهكذا..

وعلى الرغم من اقتصار هذا المعجم على الصحيح من الألفاظ فإنه يتسم بالشمول والاستيعاب والحرص على بيان موقف اللفظ والتحقق إذا ما كان اللفظ ضيقاً أو مهجوراً أو من المعرب أو العامي أو المولد.

2) معجم لسان العرب / لابن منظور:

وقد طبع في بيروت عن دار صادر 1968م في 15 مج وهو من أضخم المعاجم العربية التي يهتم بالمفردات اللغوية وأغزرها مادة وأكثرها استطراداً، وهو لا يختلف في ترتيبه عن معجم الصحاح للجوهري.

3) القاموس المحيط / للفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

وقد صدر بالقاهرة عن المطبعة التجارية 1938م في 4 مجلدات، هذا المعجم متأثر إلى حد بعيد بصحاح الجوهري ويمتاز بكثافة مادته حيث تفوق على ما جاء في الصحاح ولا تقل عن مواد لسان العرب، فهو يمتاز بتقديم الفصيح والمشهور على النادر والمهجور.

وقد نشأت القواميس اللغوية في الفكر العربي وتطورت في إطار الدوافع وعلى ضوء الحاجات التي مر ذكرها في الفقرات السابقة، وقد تبين أن هناك منهجين مختلفين في تجميع القواميس والمراجع اللغوية في الفكر العربي.

وقد بدأ أول المنهجين قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 786م) أبو القواميس العربية ويتمثل هذا المنهج في خط النوادر والكتيبات التي كان يتناول كل منها موضوعاً ضيقاً وفيه يجمع المؤلف المفردات اللغوية النادرة أو المألوفة حول هذا الموضوع ويأتي بها غالباً في سياق النصوص التي ودت فيها شعراً أو نثراً.

ومن نماذج هذا المنهج كتاب (**فقه اللغة للثعالبي**) (ت 1038) وقد حظي بشهرة بالغة بين الباحثين لأنه اتسع ليشمل كل مفردات اللغة العربية تقريباً، وفي هذا الإطار فقد ظهر كتاب (**المخصص**) لابن سيده (ت 1066) وهو أهم كتاب على الإطلاق وكان ابن سيده عالماً عربياً مسلماً كفيفاً عاش في بلاد الأندلس ووهب كل ذكائه وعبقريته لخدمة اللغة العربية وقواميسها، وقاموسه هذا هو الذي سار على هديه أحدث القواميس في العصر الحديث(*).

ويُخصص في هذا النوع من القواميس موضوع باب مفرد أو باب مركب تحته عدة فصول حسب الحاجة ومن أجل ذلك سميت هذه الطريقة طريقة التبويب.

أما المنهج الثاني فإن الخليل بن أحمد هو أول من فتح الطريق إليه وسار فيه شوطاً من أذكى الأشواط وإن لم يكن أبقاها، حيث ترك الخليل الطريقة المنطقية بأساسها الاستقرائي في تجميع مواد اللغة ومفرداتها (دخيلة ومعربة ومولدة) واصطنع الطريقة الهجائية بأساس رياضي من عنده هو، وفي هذه الحالة تتجانس المفردات والمواد في الحروف المكونة لها ومن أجل ذلك سميت هذه الطريقة طريقة التجنيس وقد عاش هذا المنهج الذي بدأه الخليل منذ حوالي اثنى عشر قرناً حتى الآن.

ولكي نبين الفرق بين المنهجين يمكن إيجاز ذلك كما يلي:

أولاً: أن اللغة العربية يوجد فيها ما يمكن أن يسمى (الأم اللغوية) ثم (المادة اللغوية) ثم (المشتق اللغوي) أو المفرد، فالأصوات الثلاثة مثلاً (العين واللام والباء) تكون أماً لغوية في اللغة العربية وهناك ست صور عقلية رياضية قد توجد عن الاستقراء وقد لا توجد لاجتماع هذه الأصوات الثلاثة

(*) من أمثلة هذا النوع من القواميس ما أصدره عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى في مدينة القاهرة سنة 1939م تحت عنوان الإفصاح في فقه اللغة.

في اللغة العربية (ع ل ب، ع ب ل، ل ب ع، ب ع ل، ب ل ع) وكل صورة منها تمثل (مادة لغوية) إذا سمعت من العرب، فإذا أخذنا مادة (ل ع ب) فإن لعب لاعب، ملعب، يلاعب كلها مشتقات لغوية أو مفردات من هذه المادة.

ثانياً: ترتيب الحروف في اللغة العربية له صورتان: الأولى: كتابية وهي (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز،..... إلخ ي) والثانية: صوتية وهي (ء، ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، أ). ومدارس هذا المنهج بعد ذلك مسماة بأسماء أشهر من عرفوا بها وهي:

أ) **مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت 786م): وتبدأ وحدات التنظيم فيها بالأم اللغوية وهي داخل كل أم ما سُمع عن العرب من المواد اللغوية التي تدخل في نطاق تقلباتها الرياضية وترتب الوحدات فيما بينها أولاً، بحسب عدد الأصوات وطبيعتها، ثم بحسب الهجائية الصوتية التي تمثل مخارج الحروف من الحلق والفم وقد استمرت طريقة هذه المدرسة سائدة حوالي قرنين، حيث جاء الخليل بالأم اللغوية مثل (ر ك ب، ب ر ك، ك ر ب) حينما جمع في هذا القاموس ثلاثة عشر مليون مشتق لغوي من أصل 12 ألف أم لغوية.

ب) **مدرسة الجوهري** (ت 1003م): وتبدأ وحدات التنظيم فيها بالمادة اللغوية مباشرة وترتب على أساس الهجائية الكتابية المألوفة باعتبار الحرف الأخير من المادة ثم الحرف الأول مثل (ر ك ب)، ثم يبدأ بالحرف الأخير (ب ك ر) وتسمى الأم، ويمكن تشكيلها على 6 صور مختلفة مثل (ب ر ك، ك ر ب، ر ب ك، ك ب ر، ب ك ر، ر ك ب).

ج) **مدرسة الزمخشري** (ت 1144م): مثل المدرسة الثانية تبدأ وحدات التنظيم فيها بالمادة اللغوية وترتب على أساس الهجائية الكتابية المألوفة ولكن

باعتبار الحرف الأول فالثاني فالثالث من المادة اللغوية، وقد تعاصرت المدارس الثلاث لبعض الوقت ثم سادت المدرسة الثالثة وحدها.

ومن أمثلة هذه المدارس ما ظهر في لبنان في القرن العشرين من قواميس، الأول: بعنوان (**المرجع**)، معجم وسيط علمي لغوي فني مرتب وفق المفرد بحسب لفظه، لعبدالله العلايلي، وذلك عام 1963م. والثاني: بعنوان (**الرائد**)، معجم لغوي عصري ورتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى ونشرته دار العلم للملايين ببيروت سنة 1965م.

وكان معظم رجال المعاجم يتبع المنهجين أو الطريقتين في التبويب والتجنيس. فابن سيده (ت 1066م) أشهر المعجميين العرب بالأندلس وضع كتابه (**المحكم**) الذي اتبع منهج التجنيس وكتابه (**المخصص**) الذي يسير على منهج التبويب. فالقواميس المبوبة تخدم الباحث حين يريد أن يتحدث أو يكتب في موضوع معين فتمده بكل المفردات المتصلة بموضوعه أو بأهمها وتساعد على الاختيار الدقيق للكلمة الملائمة، وبعبارة أخرى إنها تساعد وتخدم الباحث حين يواجه أحد المعاني ويريد أن يعبر عنه تعبيراً دقيقاً موفقاً. ومن أجل ذلك اشتهرت بين العرب باسم (قواميس المعاني). أي أنها تخدم الباحث حين يواجه أحد المفردات أو الألفاظ. ومن أجل ذلك اشتهرت أيضاً بين العرب باسم معاجم الألفاظ.

وليس هناك فرق واضح بين القواميس المبوبة والقواميس المجنسة في اللغة العربية من حيث المادة المقدمة في كلا النوعين، وإنما الفرق هو في منهج التنظيم. ومع ذلك فقد جرى العرف في اللغات الأخرى وفي اللغة العربية إلى حد ما أن كلمة قاموس Dictionary حين تطلق فإن الذهن ينصرف إلى المعاجم المجنسة أو قواميس الألفاظ.

ويعد قاموس تاج العروس من جواهر القاموس الذي ألفه المرتضى

الزبيري محمد بن محمد وطبع بالقاهرة سنة 1890م هو من أوسع المعاجم العربية حيث يقارب معجم لسان العرب في الحجم ويشتمل على حوالي 120 ألف مادة، ويتخذ من القاموس المحيط أساساً له من حيث الترتيب ويمتاز بذكر المعاني المجازية وإيراد الكلمات العامية. ومن أمثلة المعاجم العربية الحديثة محيط المحيط لبطرس البستاني وقطر المحيط لنفس المؤلف وأقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني والبستان لعبدالله البستاني والمنجد للويس المعلوف ومعجم متن اللغة لأحمد رضا والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمعجم الوجيز وهو أحدث ثمار الجهود المتواصلة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وأخيراً المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

معاجم المعاني:

على عكس معاجم المفردات، فإن معاجم المعاني أو معاجم المترادفات والأضداد تهتم بالأفكار والمفاهيم وتعتبرها الأساس الذي تدور حوله المعالجة. وفي الوقت الذي نلجأ فيه إلى معاجم المفردات بحثاً عن معاني كلمة معينة فإننا نلجأ إلى معاجم المعاني بحثاً عن أنسب الكلمات للتعبير عن أفكار أو معانٍ معينة.

أما القواميس المجنسة فإنها تخدم الباحث حين يواجه أحد المفردات ويريد أن يعرف عنه جانباً أو آخر من الجوانب اللغوية كطريقة نطقه أو اشتقاقه أو استخدامه أو غير ذلك من المعلومات اللغوية أو ما في حكمها.

معاجم الألفاظ الموسوعية:

إن معاجم الألفاظ تقوم بمهمة حصر المفردات في اللغة العربية وترتيبها بالألفاظ نفسها ومشتقاتها ومعانيها، فمثلاً عند البحث عن لفظ ما مثل آلاء فنبحث عن معنى له، وكيف تم اشتقاقه وكيف نظمت مادته.

أما معجم الألفاظ الدخيلة فتحصر مفردات الكلمات الدخيلة على اللغة العربية.

وفيما يتصل بمعاجم المعاني فهي تتناول مستويات معينة من الكلمات وتبين معناها أو نبحث فيها عن معاني كلمات مثل (الديباج).

نماذج من معاجم الألفاظ:

1 - تفصيل آيات القرآن/ جول لابوم (مستشرق فرنسي):

وهو عبارة عن كشاف موضوعي لألفاظ القرآن الكريم ترجمه للعربية محمد فؤاد عبدالباقي. يقع في 18 باباً موضوعياً وكل باب يتفرع إلى 354 فصلاً يأخذ الآيات القرآنية ويرتبها بحسب الموضوعات أي ترتيب موضوعي وتحت كل موضوع يذكر الآيات التي تتناول هذا الموضوع مثل الجهاد، أو الزكاة، أو الإنفاق، وعلى سبيل المثال باب التاريخ، باب التبليغ، وتحت كل باب الموضوع وفروعه.

المادة المرجعية:

يذكر اسم السورة – الآية – رقم الآية – اسم الموضوع. وقد قام لابوم بعمل كشاف أو فهرس تفصيلي لأبوابه وفصوله ثم يذكر نوع السورة مكية أم مدنية.

عيوب كشاف لابوم:

1 – لقد جاء بناء الأبواب غير محكم وترتيبها غير دقيق.

2 – بعض الأبواب غير واضحة المعالم أي أن هناك موضوعات أدرجت تحت موضوعات لا صلة لها بها.

3 – التفريع تحت الأبواب غير دقيق.

4 – تكرار بعض الفصول سواء في الباب الواحد أو في أبواب أخرى.

5 – لم يرتب الآيات تحت كل موضوع وإنما كيفما اتفق وكان بالإمكان ترتيبها بحسب ورودها في القرآن الكريم أو بحسب أسبقية النزول.

متى نستخدم هذا المرجع ؟

يتم استخدام هذا المرجع عندما نريد معرفة ما يتصل بموضوع معين في القرآن الكريم مثل الحج، الزواج، الطهارة، العبادات.

2 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:

قام بجمع هذا المعجم محمد فؤاد عبدالباقي في الثلاثينات من القرن الماضي، حيث جمع ألفاظ القرآن الكريم ورتبها ترتيباً هجائياً وأتى بمشتقاتها ورتب المشتقات بحسب أصولها في ترتيب هجائي بحسب الثنائي والثلاثي في ترتيب هجائي دقيق أيضاً وتحت كل مادة مشتقاتها (اللفظية الفعلية والمجرد والمزيد).

المادة المرجعية:

اللفظة – ثم الآية المشتملة على تلك اللفظة ثم رقمها والسورة ورقمها ثم الرمز مكية أو مدنية ك. م مثال:

اللفظة	رقم الصفحة	المادة		
آدم	24	آدم		
اللفظة	رقم الآية	اسم السورة	رقمها	م. ك
أجلهم	49	البقرة	2	م

ونبحث عن الكلمة تحت أصل اللفظة ومشتقاتها.

أمثلة من المعجم:

اللفظـــة	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رمز السورة
أبا: وفاكهة وأبا	عبس	80	31	ك
أبداً: ولن يتمونه أبداً بما قدمت أيديهم	البقرة	2	95	م
خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة	النساء	4	57	م

3 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي:

قام بإعداده المستشرق الهولندي أ.ي فنسنك مع مستشرقين آخرين ونقله إلى اللغة العربية محمد فؤاد عبدالباقي، وقد نشر في مدينة ليدن في هولندا عام 1936م في 7 مجلدات.

وهو كشاف لألفاظ الحديث النبوي الشريف التي وردت في كتب الحديث الستة - مسند الدارمي - وموطأ مالك - ومسند الإمام أحمد بن حنبل والترمذي ومسلم والبخاري والنسائي، صدر في سبعة مجلدات ضخمة عام 1969م. وقد تناول في هذا المعجم ألفاظ الحديث والألفاظ التي وردت في الحديث مثل إبل أو آدم، ورتبها ترتيباً هجائياً وتحت كل لفظ مشتقاته وتحت كل مشتق يعطي المعلومات عنه. مثال:

أبَرَ: وهم يأبرون النخل ويقال يُلْقِحُون النخلَ.

أبّر: أيما امرئ أبّر نخلةً.

إبرة: فَغَمس فيه إبرةً.

إبريق: جمع أباريق.

المادة المرجعية:

يذكر اللفظ وعقب كل مادة تذكر العبارات التي وردت فيها من أقوال

الرسول صلى الله عليه وسلم + مختصر لاسم المصدر + اسم الكاتب + رقم الباب أو الحديث.

الفرق بين المعاجم اللغوية القديمة والحديثة:

المعاجم أو المراجع اللغوية متنوعة تنوع الاهتمامات اللغوية، وكلمة معجم هي المقابل العربي لكلمة Dictionary والتي تعني الكلمة أو العبارة والمعاجم بكل أنواعها من أهم أدوات الخدمة المرجعية السريعة، وتنقسم المعاجم إلى فئتين رئيسيتين: المعاجم أحادية اللغة، والمعاجم متعددة اللغات بالإضافة إلى معاجم التراجم.

وللمعاجم فن يسير يسير الزمن، وقد خطا خطوات فسيحة في القرنين الأخيرين، وكانت له آثار واضحة في المعاجم الغربية بين إنجليزية وفرنسية وألمانية وروسية.

والمعجم العربي القديم على غزارة مادته وتنوع أساليبه أضحى لا يواجه حاجة العصر ومقتضياته، ففي شروحه غموض وفي تبويبه لبس، وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة العربية عند حدود زمانية ومكانية فقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور.

وما المعجم إلا أداة بحث ومرجع سهل المأخذ فينبغي أن يكون واضحاً دقيقاً مصوراً ما أمكن، محكم التبويب، ومعاجمنا العربية القديمة لا تتمشى في منهجها مع مبادئ فن المعاجم الحديثة، ففي الرجوع إليها عناء ومشقة وفي عرضها حشو واستطراد، ولقد حاول بعض اللغويين منذ أخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص، فوضع البستاني محيط المحيط والشرتوني أقرب الموارد والأب لويس معلوف المنجد، متأثرين بالمعاجم الغربية الحديثة وقد قام معجم اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه عام 1934م

بإصدار ثلاثة معاجم لغوية: المعجم الوجيز وهو مخصص لطلبة المدارس الثانوية وطلبة المرحلة الجامعية الأولى والمعجم الوسيط ويقدم لطلبة الدراسات العليا والباحثين والدارسين.

ثم المعجم الكبير. ويضم المعجم الوسيط كل مفردات اللغة العربية ومعانيها المختلفة، حيث جاء هذا المعجم محكم الترتيب والتبويب وذُللت فيه الصعاب الصرفية والنحوية، ويسرت الشروح وضبطت التعاريف وصورت فيه ما يحتاج توضيحه إلى تصوير، واكتفت من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة في غير ما غموض ولا تعقيد. وقد كتبت مفردات هذا المعجم بلغة العصر وروحه، فجاء المعجم دقيقاً في وضوح، غزيراً في يسر، يمت إلى الماضي بصلة وثيقة ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير وبرهنت على أن باب الاجتهاد مفتوح في اللغة كما هو مفتوح في الفقه والتشريع، وأن اللغة العربية في آن واحد لغة قديمة وحديثة.

ويشتمل المعجم الوسيط على نحو 30.000 مادة لغوية ومليون كلمة وستمائة صورة ويقع في جزئين كبيرين يحتويان على نحو 1200 صفحة من ثلاثة أعمدة، فهو دون نزاع أوضح وأدق وأضبط وأحكم منهجاً وأحدث طريقة، وهو فوق كل هذا مجدد معاصر يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة، وفيه ألفاظ حديثة ومصطلحات علمية.

وقد سار المعجم الوسيط على المنهج التالي في ترتيب المفردات:

1 – تقديم الأفعال على الأسماء.

2 – تقديم المجرد على المزيد من الأفعال.

3 – تقديم المعنى الحسي على المعنى الحقيقي والحقيقي على المجازي.

4 – تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.

5 – رتبت الأفعال على النحو التالي:

أ) الفعل الثلاثي المجرد:

1 – فَعَلَ يفْعُل، كنصر ينصُر.

2 – فَعَل، يفْعِل، كضرب يضرِب.

3 – فَعَل يفعَل، كفتح يفتح.

4 – فعِلَ يفْعلُ، كمعلم يعلم.

5 – فعل يفْعِلُ، كمشرف يشرف.

6 – فَعِلَ يفعِلُ، كحسب يحسب.

ب) ورتب الفعل المزيد ترتيبات هجائياً على النحو الآتي:

1 – أفعل، كأكرم.

2 – فاعل، كقاتل.

3 – فعّل، ككرم.

ج) الثلاثي المزيد بحرفين:

1 – افتعل، انتصر.

2 – افتعل، اشتق.

3 – انفعل، انكسر.

4 – تفاعل، تشاور.

5 – تفعل، تعلم.

6 – أفعل، أحمر.

هـ) الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

1 - استفعل، استغفر.

2 - افْعَوعل، اعشوشب.

3 - أفعال، أحمار.

4 - أفْعوّل، أجلّوَذ.

نماذج لبعض معاجم اللغة العربية وكيفية تنظيمها والرجوع إليها واستخدامها:

1 - معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ):

هو أول معجم عربي وأول معجم ألفاظ يرتب المواد بحسب مخارج الأصوات ابتداءً بأصوات أقصى الحلق حتى الشفتين (أولها حرف العين وهو اسم المعجم وأول حرف يخرج من الحلق وآخرها حرف الباء) ويقوم تنظيم المعجم على ثلاثة أسس: الترتيب بحسب مخارج الحروف/ وفكرة التقاليب/ وفكرة الأبنية، فهناك المواد التي تبدأ بحرف العين ثم بالحاء ثم بالهاء... إلخ. وتحت هذا الترتيب الكلمات المكونة من حرفين ثم المسكونة من ثلاثة أحرف، فالرباعية فالخماسية، والثلاثية هي الأكثر استخداماً. لذلك نجد الخليل يستخدم فكرة التقاليب في المواد مقدماً الحرف الأدخل في المخرج فالذي يليه، ولا يأتي إلا بالمستعمل في الكلام العربي وما عداه يهمله.

البحث في هذا المعجم صعب للغاية، إذ يفترض في الباحث أن يعرف مخارج الحروف العربية. فإذا أردنا مثلاً أن نبحث عن مادة (رجع) نجدها في حرف العين لأنها أدخل في المخرج من الجيم والراء ونجدها تحت (عجر) ثم (عرج) ثم (رعج) ثم (رجع).

وقد طبع هذا الكتاب مرتان المرة الأولى في أوائل القرن العشرين

والمرة الثانية في بغداد/ تحقيق الدكتور عبدالله درويش سنة 1967 ثم طبع الجزء الثاني في بغداد/ تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي 1981م.

وقد رتب قاموسه على النحو التالي وفقاً لمخارج الحروف من أدنى الحلق: (ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و أ ي).

وقد نظمها شعراً أبو الفرج سلمة بن عبدالله المعافري في قوله:

يا سائلي عن حروف العين ... دونكها في رتبة ضمها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف والكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد ... يتبعها صاد وسين وزاي بعد طاء
ومن الدال والتاء ثم الظاء ... متصل بالظاء ذال وتاء بعد هاء
واللام والنون ثم الفاء ... والباء والميم والواو والمهموز والياء

أمثلة من كتاب العين:

عضَة = باب العين والهاء مع الضاد.

عَذَج = باب العين والجيم والذال.

قَعَظَ = باب العين والقاف مع الظاء.

عذَق = باب العين والقاف مع الذال ثم - قَذَع - ذَعقَ.

خَرَعَ = باب العين والخاء مع الراء - وثوب مُخرَّعُ مصبوغُ بالخرَّيع، والخرْوُعُ نجده في خَرَع باب العين فصل الخاء.

كيف يتم الكشف عن الكلمات في قاموس العين:

أ. لابد من النظر إلى الأصل المجرد وحذف حروف الزوائد من حروف

الكلمة، كذلك لابد من النظر إلى الكلمات المعتلة ورد حرف العلة على أصله فمثلاً كلمة (استيطان) أصلها المجرد (و ط ن).

ب. رتب الخليل الأبجدية العربية ترتيباً خاصاً ذكره في مقدمته وهو العين.

ج. يراعى عند البحث عن المعجم التقليبات فيذكر الكلمة ومقلوباتها مثل (ل ع ب، ب ل ع، ع ل ب، ع ب ل).

د. قسم الخليل الكلمات بحسب الكم في كل حرف من ترتيبه السابق وقد اقتضى هذا التقسيم الكمي الأنواع التالية:

أ) الثنائي والمراد به كل ما تكون من حرفين ولو تكررا أو تكرر أحدهما مثل (قد، قدّ، قدقد) ومقلوباتها (د ق – د ق د ق). وعند شرحه للمفردات يذكر كل أصل من هذه الأصول مع مشتقاته فمثلاً يذكر (قدّ – مقدود – أنقدّ).

ب) الثلاثي الصحيح ومقلوباته ومعنى هذا نظرياً استخراج ست مواد من كل أصل ثلاثي، ويمكن الاستعانة بشكل المثلث في استخراج المواد الست مثل (ح ل ب – ب ل ح – ل ب ح – ح ب ل... إلخ).

ج) الثلاثي المعتل مع مقلوباته مثل (وعد، عدا، عاد، عيد، ويدخل في حروف العلة الهمزة).

د) الرباعي والخماسي مثل (جعفر، سفرجل).

المادة المرجعية:

الأم اللغوية – ل ع ب.

المادة اللغوية = لعب، بلع... إلخ.

المشتقات = ملاعب. كما أننا نجد عقل، ولقع، وعلق، ولعق، وقلع، وقعل، ثم يذكر مستعمل أو غير مستعمل.

تهذيب اللغة - للأزهري (ت 370هـ):

وقد سار على نفس الأسلوب الذي سار عليه الخليل في الترتيب الصوتي بحسب مخارج الحروف. أما الفرق بينهما وكذلك أوجه الاتفاق فهي:

أولاً: الاختلاف: اختلفا في حجم المواد اللغوية حيث إن اللغة العربية تطورت وازدادت لأن الفرق بينهما قرنين من الزمن لذلك جاءت مواد تهذيب اللغة أكبر من معجم العين من حيث الكلمات الدخيلة والكلمات الجديدة المولدة ووجد أن معجم العين ينقصه الكثير من المفردات فجاء بها معجم اللغة إذاً الفرق يكمن في مدى السعة من الاستشهادات وذكر الكلمات المستخدمة فقط.

ثانياً: أوجه الاتفاق: اتفقا على طريقة الترتيب على صورة مخارج الحروف، أي أنها الغرض من معجم فقه اللغة هو تخليص اللغة العربية مما أصابها ودخلها من الشوائب والأخطاء.

القاموس المحيط - للفيروزآبادي (ت 729-817هـ):

يهدف هذا القاموس إلى جمع اللغة العربية واستقصائها بما فيها الفصيح والغريب والبسيط فجع ما في المحكم لابن سيده، ثم يورد المادة موجزة بلا شواهد مهتماً بوضع الأعلام في نهاية كل مادة ويهتم بأسماء النبات والحيوان والمصطلحات الطبية ويشتمل على 60.000 مادة خاصة بالمعاني ومشتقاتها.

الترتيب:

رتب القاموس ألفبائياً وفق أواخر الأصول ثم أوائلها ثم حروف الوسط الأصول.

إذا رُمْت في القـامـوس كـشـفـاً للفظةٍ
فـآخـرهـا للبـاب والبـدء للفـصـلِ
ولا تعـتـبـر في بدئهـا وأخـيـرها مـزيداً
ولـكـن اعـتـبـارك بـالأصـلِ

المادة المرجعية:

باب الهمزة:	اللفظة	
فصل الهمزة	الإباءة	كعباءة
فصل الباء	بأبأة	

هاجم = هجم = تحت باب الميم فصل الجيم.

ساهم = سهم = باب الميم فصل السين.

1 - قاموس الصحاح للجوهري:

يرمي هذا القاموس إلى تدوين الصحيح من الألفاظ فقط. ويمتاز هذا القاموس بالترتيب الدقيق ويعطي معنى الكلمة ويستشهد على ذلك بثلاثة مصادر: القرآن الكريم - الحديث النبوي - الشعر الذي قاله أشهر شعراء العرب أي أنه يحصر الصحاح من ألفاظ اللغة العربية.

الترتيب:

اتبع المؤلف الترتيب الألفبائي وفقاً لأواخر الأصول على طريقة الباب، الحرف الأخير، والفصل والحرف الأول ثم حروف الوسط الأصول أي أنه مقسم إلى فصول وأبواب.

مثلاً: (ضرب) نجدها في باب الباء فصل الضاد، أي بأواخر المادة بعد تجريدها من الزوائد.

المادة المرجعية:

مثلاً (حَ ضَ ضَ): حَضَضْتُ الرجل على الشيء، أحضه حضاً أي حرضته. ويقال حضُ والحضضُ وهو دواء معروف.

وفعل انتشر = تحت نشر باب الراء فصل النون بعد تجريدها من الزوائد.

أي أن الجوهري قد أهمل ترتيب الحروف تبعاً للهجاء أو المخارج واعتمد أواخر المفردات.

أمثلة من تاج العروس:

زمج = ز م ج = زمج القربة زمجاً إذا ملأها. وزمج عليهم زمجاً إذا دخل عليهم بلا إذن ولا دعوة فأكل.

شَ ح ج = شحج كجعل وضرب. يشحجُ ويشحجُ شحيجاً وشحَّاجاً وشِحْجاناً وتشحاجاً وتشحَّج = شحج الغراب إذا أسنَّ وغَلُظ صوته.

2 - كتاب (لسان العرب) لابن منظور الأفريقي المصري (ت 711هـ):

وهو من أضخم المعاجم العربية مادة ويشتمل معجمه - كما نص المؤلف في المقدمة - على خمسة من أضخم المعاجم العربية هي:

1 - تهذيب اللغة للأزهري.

2 - المحكم لابن سيده.

3 - الصحاح للجوهري.

4 – حواشي بن بري على الصحاح.

5 – النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري.

وقد رتب المواد ترتيباً هجائياً بحسب الحرف الأخير من الكلمة، فهو يبدأ بالحروف التي تنتهي بالهمزة فالباء... ويسميها باباً فهناك باب الهمزة والباء والتاء وتحت كل باب فصول مرتبة هجائياً مثل: نصر = باب الراء فصل النون. فإذا أردنا أن نبحث فيه عن معنى كلمة فلابد من معرفة بالتصريف العربي وبأصول الكلمات. فلننظر لكلمة مثل (استكبار) نقوم بتجريدها من الزوائد فتصبح (كبر) ونجد هذه المادة تحت باب الراء فصل الكاف وبعدها نجد معناها ومعانيها المختلفة مع شواهد من الشعر والقرآن الكريم والحديث والأمثال، ونظراً لصعوبة هذا الترتيب الذي يضلل الباحث ويرهقه فقد قام بعض الباحثين بمحاولة إعادة ترتيب مواده بحسب الحروف الهجائية ابتداء بأول حروف الكلمة فثانيها... إلخ.

ومن ذلك محاولة عبدالله الصاوي الذي أخرج الكتاب في خمسة أجزاء ناقصة سنة (1355هـ) ثم قامت دار المعارف بالقاهرة بطبعه والانتهاء من أجزائه سنة 1981م.

3 - معجم (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت 1061م):

وهو يتناول الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية من اللغات الأجنبية وغيَّرها العرب من ناحية البناء. فتشابهت مع الأوزان العربية وكذلك الألفاظ التي دخلت العربية واستقرت فيها دون تغيير في البناء، وقد اعتمد الخفاجي الترتيب الأبجدي باعتبار أول حروف الكلمة الأجنبية سواء أكانت حروف الكلمة أصلية أو مزيدة ابتداء بباب الهمزة فالباء فالتاء إلى آخر حروف المعجم، ولكنه لا يرتب المواد بأي نوع من الترتيب تحت كل باب. فإذا أردنا

أن نبحث عن كلمة معرَّبة أو دخيلة في العربية الفصحى مثل كلمة (مشكاة) سنجدها في باب الميم، ولكي نصل إليها لابد من قراءة الباب كاملاً حتى يتم العثور عليها وكذلك كلمة (أبابيل) في باب الهمزة، وقام بتحقيق هذا الكتاب الشيخ أحمد محمد شاكر وصدر عن مكتبة الحلبي بالقاهرة سنة 1961م.

4 - كتاب (المخصص) لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت 458هـ):

وهو من أضخم المعاجم الموضوعية في اللغة العربية حتى الآن، وهو عبارة عن معجم معاني وصدر في مصر سنة (1311هـ) وهذا التأليف المعجمي هو بحسب الموضوعات، ويسميه الأجانب معاجم المجال الدلالي، فهناك الألفاظ الخاصة بالإنسان وبالنبات وبالحيوان وبالجهاد، وفيه أبواب لبعض الموضوعات اللغوية كالأضداد والمترادفات والهمز، ويقع هذا الكتاب في 17 جزءاً كبيراً في 28 باباً ضمت ما حوته الكتب السابقة عليه في هذا المجال ويبدأ (بكتاب خلق الإنسان) ثم النساء، واللباس، والطعام والشراب والخيل والسلاح، وكان يبدأ بتعريف الألفاظ الشائعة التي يتوقف عليها الموضوع كله، ويحاول أن يبدأ في موضوعاته العامة بالأعم فالأخص ويقدم الكليات قبل الجزئيات.

5 - جمهرة اللغة لابن دريد(ت 321هـ):

اتبع الترتيب الهجائي بدلاً من الصوتي وحافظ على مبدأ التقسيم حسب الأبنية وعلى جميع التقاليب في موضوع واحد. حيث اتخذ الأبنية كالثلاثي والرباعي أساساً للترتيب وتحت كل بناء ترتيب المواد هجائياً وفق أصولها.

وقد اتبع ابن دريد وابن فارس (مقاييس اللغة ت 390هـ) طريقة الدوران مع الحروف، بمعنى أن أي حرف لا يليه الهمزة فالباء فالتاء، وإنما

يليه ما بعده في الترتيب الهجائي، فالباب الخاص بحرف الجيم لا يبدأ بالجيم مع الهمزة ثم مع الباء، وإنما يبدأ بالجيم مع الحاء ثم مع الخاء. فأين أجد كلمة مثل (جبّ) عند الجمهرة لابن دريد، لا تجد مشكلة لأنه جمع التقاليب في موضوع واحد ومن ثم يرد اللفظ تحت الباء في «بج» أما ابن فارس فنجده يضع حلاً لهذه المشكلة. لذلك نراه يمضي مع حرف الجيم بادئاً من حجٌ + جخٌ + جدٌ + جذٌ إلى أن يصل بالجيم إلى الواو، و(جوٌ) فينتقل بعدها إلى الجيم مع الهمزة ثم مع الباء فالتاء وهكذا حتى يصل إلى النقطة التي بدأ من عندها.

وهذان المعجمان يمثلان حلقة وسطى بين مدرسة الخليل والمدرسة التالية من مدارس معاجم الألفاظ في اللغة العربية والتي يمثلها الجوهري (398هـ) في الصحاح وابن منظور (711هـ) في اللسان، والفيروزآبادي (817هـ) في القاموس، والزبيدي (1205هـ) في تاج العروس، فهؤلاء الأربعة يمثلون طوراً جديداً من أطوار التأليف المعجمي وهو طور التحلل من قيود الترتيب التي وضعها الخليل بن أحمد واصطناع الترتيب الهجائي الذي يسهل استعماله والاستفادة منه. ففي هذه المعاجم ترتب المواد ترتيباً هجائياً بعد تجريدها من الزوائد وتتخذ أواخر الكلمات أساساً لهذا الترتيب على اعتبار أن لام الفعل أثبت من فائه. وأن هذه المعاجم قد خصصت لكل حرف من حروف الهجاء باباً من أبوابها وقسمت مادته إلى فصول بحسب أوائل الألفاظ في ترتيب هجائي دقيق. فمثلاً نجد كلمة (جاهد) تحت جهد في باب الدال فصل الجيم وانتصر تحت نصر في باب الراء فصل النون.

قائمة بأهم المصادر التي تم الرجوع إليها أكثر من مرة

1) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق عبدالستار أحمد فراج. الكويت. مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

2) حسين نصار. المعجم العربي نشأته وتطوره. القاهرة. دار مصر للطباعة، 1975م.

3) حشمت قاسم، المكتبة والبحث. القاهرة. مكتب غريب، 1993م.

4) سعد محمد الهجرسي: المراجع العامة: دراسة نظرية نوعية عن القواميس اللغوية ودوائر المعارف. القاهرة مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1980م.

5) القاموس الجديد: معجم عربي مدرسي ألفبائي، تأليف علي بن هادية وبلحسن البليش. تونس. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

6) المعجمات العربية: ببليوجرافية شاملة مشروحة، إعداد وجدي رزق غالي، تقديم حسين نصار. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

7) معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، بيروت دار صادر للطباعة والنشر، 1955م.

8) المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد محمد بسام رشدي الزين، إشراف محمد عدنان سالم. بيروت، دار الفكر المعاصر، 1985م

9) المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، تقديم إبراهيم مدكور، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1980م.

10) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، تأليف نخبة من اللغويين العرب، بيروت. مكتبة لبنان، 1983م.

11) المنجد في اللغة، لويس المعلوف، بيروت، 1973م.

12) وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1987م.

13) Encyclopedia of Britanica. ninth edition. New York, 1969. P. 179-193.

14) Encyclopedia of Hornes worth's university مادة Dictionary.